المحاضرة الأولى: حوار الحضارات المبادئ والأهداف

ثمّة أسئلة جوهريّة لابدّ من طرحها لفتح أفق الحوار بين الحضارات هذه الأسئلة هي: لماذا البحث في الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافة وما هي مجالات الحوار؟ ومن يحاور من؟ هذه عيّنات من بين عديد الأسئلة التي يمكن أن تُطرح حول هذا الموضوع، وإذا كانت هذه الأسئلة قد حُظيت بأجوبة البعض، لكن هذا لا يمنع من طرحها من جديد علي ضوء معطيات العصر الحاضر المثقل بهموم الانسانية المتعدّدة الجوانب الدّينية و الاجتماعيّة و السّياسيّة و الاقتصاديّة الي درجة أصبح معها الحوار بشكله العام يشكّل ضرورة من ضرورات العصر قصد التّغلّب علي العديد من المشاكل علي مختلف الأصعدة.

وإذا كان الحوار يُعدُّ أمرا ضروريا ومتأكّدا في الميادين الاقتصاديّة بالخصوص نظرا للتّحولّات التي طرأت على العالم بضفّتيه الغربيّة والشّرقيّة، فانّ الأمر يبدو أكثر الحاحا في العلاقة بين الثّقافات والحضارات.

وذلك لما للثّقافة والحضارة من أثر في حياة الأفراد والجماعات، لذا فانّ التّفاهم بين أصحاب الحضارات حول مسائل أساسيّة ضروريّ من وجهة نظرنا حتّي يسود السّلام ويحصل الاتّفاق حول قيم دينيّة وانسانيّة مشتركة، وبهذا لن يكون هناك سلام بين الأمم والشّعوب ما لم يكن هناك سلام بين الثّقافات والحضارات، ولن يكون سلام وبين الحضارات ما لم يكن هناك حوار بينها، وعلى هذا الأساس فانّ الحوار هو السبيل الي بلوغ الهدف المنشود والوصول بالإنسانية برّ الأمان.

معنى الحوار

هناك مصطلحات ثلاثة لابدّ من الوقوف عندها وبيان العلاقة بينها وهي:

(1) الحوار: هذا اللّفظ مُثقّل بالمعاني التي تؤكّد على مفاهيم أصيلة في التّراث الثّقافيّ والحضاريّ. ففي لسان العرب، الحوار هو الرّجوع، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، كما أن التّحاور يعني التجاوب والمجاوبة، والحوار هو الرجوع عن الشيّء وإلى الشّيء.

ويؤكّد هذا ما ورد في القرآن الكريم، ففي سورة الكهف نلاحظ أنّ فعل «يحاوره» تكرّر مرّتين، يقول تعالي: (وكَانَ لَهُ ثُمُرّ فَقَالَ لِصَاحِبِه وهُوَ يُحاوِرُهُ أنَا أكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وأَعَزُّ نَفَرَا) (الكهف: 43)، وقوله تعالي أيضا: (قَالَ لَهُ صاحبه وهُوَ يُحَاوِرُهُ أكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً) (الكهف: 37)

وكلمة الحوار كلمة دخلت قاموس العلاقات بين الأديان والمذاهب حديثا، وممّا يدلّ علي جدّة هذا المفهوم و حداثته أنّ المواثيق و العهود الدّوليّة التي صدرت بعد نشوء منظّمة الأمم المتّحدة لم تُشر الي هذا اللّفظ، و ان أشارت الي ألفاظ أخري ترمي الي نفس الغرض الذي يرمي اليه لفظ الحوار. مثل التّسامح، والتّعايش والتّعاون ممّا يدلّ على أنّ لفظ الحوار له مدلول سياسيّ وثقافيّ وحضاريّ أكثر منه قانونيّ.

و قد عرّف المؤتمر الذي عُقد في سيلان في شهر مارس سنة 1976 لدراسة الحوار بين المسلمين و المسيحيّين و أصحاب العقائد الأخرى بأنّه «أسلوب أصيل للحياة في الأوساط التعدّديّة و هو أسلوب يتجاوز مجرّد التّعايش و هو يعني «ذلك الجهد الايجابيّ للوصول الي فهم أعمق للحقّ من خلال الوعي المتبادل بعقيدة الآخر و شهادته عنها» كما أنّه «بحث مشترك سياسيّ ايديولوجيّ (مذهبيّ) للتّكامل في العمل المشترك من أجل بناء الوطن» وما يجب أن ننّبه اليه هنا أنّ الحوار بهذا المعني ليس مصطلحا مُرادفا لمصطلح التّفاوض الذي كثيرا ما يرد علي ألسنة رجال السّياسة و الاقتصاد، لأنّه اذا اعتبرنا أنّ الحوار يعني التّفاوض فانّ هذا الفهم سيفضي بنا الي ضرورة الفصل بين الكائن و الكائن و بين الأنا و الأنا لأنّ الأنا هو الآخر، و الآخر هو الأنا، في حين أنّ الحوار هو عبارة عن نوع من البحث الأنثروبولوجي في الكينونة.

وعلى هذا الاعتبار فانّ الحضارات ولثّقافات لا يمكن أن تكون محلّ تفاوض وإلّا لأصبحت ضربا من المسائل السّياسيّة والتّجاريّة قابلة للمساومة والتّنازل.

وإذا كان الانسان ذاتا وآخر في نفس الوقت فانّه يترتّب عليه في مجال الحوار أنّه إذا وقع الظّلم على أيّ فرد من أفراد المجتمع بصرف النّظر عن جنسه ولونه و معتقده فانّه يُعدّ ظلما علي البشريّة جمعاء.

(ب) التّعايش: إذا كان التّعايش ضروريّا بين الحضارات والثّقافات فانّه يتأكّد علينا تحديد هذا المفهوم بكلّ دقّة.

بالرّجوع الى الدّلالة اللّغويّة لهذا اللّفظ نجد أنّ المعجم الوسيط يقول: «تعايشوا عاشوا علي الألفة و المودّة و منه التّعايش السّلميّ، و عايشه، عاش معه، و العيش معناه الحياة، و ما تكون به الحياة من المطعم و المشرب و الدّخل».

وقد برز هذا المصطلح على السّاحة السّياسيّة مع ظهور الصّراع بين المعسكر الشّرقيّ

والمعسكر الغربيّ قبل سقوط جدار برلين وانهيار الاتّحاد السّوفياتي. «وممّا ساعد على إبراز الدّعوة الي سياسة التّعايش السلّمي الفزع الذّرّي بعد أن أصبحت القنبلة الذّريّة وهي أداة الدّمار الشّامل مشاعة بين دول المعسكرين».

كما تذهب الموسوعة الي أنّ المقصود بالتّعايش السّلميّ هو ما يُطلق عليه «عش ودع غيرك يعيش أيضا».

إنّ هذا المصطلح هو الذي أصبح اليوم يُردّد على ألسنة وأقلام الدّارسين لمسألة التّقارب

والتّفاهم بين الأديان والثّقافات والحضارات. لأنّ هذا المصطلح يحمل في طيّاته الاعتراف بالآخر المقابل والمخالف في الآراء والمبادئ والمعتقدات وامكانية العيش معه في مجتمع واحد وعلى أرض واحدة، والاعتراف له بحريته الدّينيّة والمدنيّة والسّياسيّة.

ولا يخرج مفهوم التّعايش بين الحضارات عن هذا الإطار العام، والّا فقد خصوصياته وانحرف عن أهدافه ومبادئه.

(ت) اللّقاء بين الحضارات و الثّقافات: انّ هذا المصطلح سبيل من سبل التّقارب بين الحضارات ذلك لانّ التّقارب بينها أمر ممكن لأن الحضارات مهما تعدّدت و اختلفت فإنها في الأصل قد تأثرت ببعضها، وأخذت عن بعضها لأنّه ليس هناك حضارة معزولة عن الأخرى، و لا يمكن أن تُنعت بكونها حضارةً الّا عند لقائها بالحضارات الأخرى، ذلك أنّ أيّ حضارة ما سواء البائدة منها أو الباقية علي قيد الحياة ليست شيئا ساكنا أو جامدا و انّما هي كيانات متحرّكة و تظهر حركيتها في مدي قدرتها علي الاستجابة الي التّغيّرات الحاصلة أو التي ستحصل في العالم و خاصّة في هذا العصر الذي بلغت فيه بعض الحضارات قمّة التّقدّم في مختلف المجالات.

ولهذا لابدّ أن نُسلّم بمبدأ التفاعل والأخذ والعطاء بين الحضارات الانسانيّة، وطرح فكرة الاستعلاء الحضاريّ من الأذهان ذلك أنّ هذه الفكرة التي ترسّخت في بعض الأذهان هي التي كرّست التّباعد والقطيعة بين مختلف الحضارات الانسانيّة.

مناخ الصّدام والمواجهة بين الحضارات

انّ زوال الخطر الشّيوعيّ الذي كانّ على إثر انهيار الاتّحاد السّوفياتّي سنة (1991) فسح المجال واسعا أمام الغرب الذي رفع لواء التّحدّي السّياسيّ والاقتصاديّ والعسكريّ في وجه العالم الثالث، ولما وفّق الغرب في ازاحة الخطر الشيوعي الذي كان يهدّده بدأ يبحث عن خصم آخر يتوقّع منه الخطر قصد احتوائه واخضاعه لتوجّهاته السّياسيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة.

و لقد أشار صمويل هنتغتون الي هذا الخطر في مقال أثار ضجّة كبيرة بمجلة «شؤون خارجيّة» (In Foreign Affairs) الأمريكية عام 1993، تحت عنوان «صِدَام الحضارات» ثم ما لبث أن وسعها و أخرجها في كتاب حمل عنوان «صِدَام الحضارات و اعادة صنع النّظام العالميّ الجديد عام 6199» و ملخّص نظريته هو «أنّ المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون بشكل رئيسيّ ايديولوجيّا أو اقتصاديّا، و ستكون التقسيمات الكبرى ضمن النّوع البشريّ و

مصدر الصّراع المهيمن ثقافيّا، ولكن الصّراعات الرئيسيّة للسّياسة العالميّة ستحدث بين أمم و جماعات ذات حضارات مختلفة، وستكون